﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

تفسير خواتيم سورة: (هود) الآيات من 110 إلى 123

بتاريخ [31-10-2014]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (تفسير خواتيم سورة هود الآيات من 110 إلى 123)

الخطبة الأولى:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله، والحمد لله والصلاة، والسلام على رسول الله.

وبعد...

فبين يدي الحديث أذكر نفسي وإخواني بالإكثار من حمد الله وشكره، فإن الشكر مؤذنٌ بزيادة النعم وحفظها ونمائها، قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [ابراهيم: 7]. وكذلك، فإن شكر الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى- سببٌ من أسباب زوال البلايا والنقم، فرب العزة يقول: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [النساء: 147]. وبكلمة -الحمد لله- ترتفع درجتك، وتحط خطيئتك، وتدخل -إن شاء الله تعالى- في عداد العباد الشكورين، فالحمد لله رب العالمين، وحقٌ لرسولنا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن نصلي عليه وأن نسلم، سمعًا وطاعةً وامتثالًا لأمر الله إذ الله أمر قائلًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]. وكذلك إقرار بالمعروف وبالجميل لهذا النبي الأمين، الذي كان سببًا في إخراجنا من الظلمات إلى النور، وكذا رغبةً في الأجر والثواب، فقد قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «من صلى علي واحدةً صلى الله بها عليه عشرًا». وقال: «ما من مسلمٍ يسلم علي، إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام».

فلو لم تغنم من هذه المجالس إلا عشر صلواتٍ على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لصلى الله عليك بها مائة صلاة، فأكثروا من حمد الله والصلاة والسلام على رسوله، ثم ولأنه «لا يشكر الله من لا يشكر الناس». أشكر إخواني جماعة أنصار السنة المحمدية في دمياط، وعلى رأسهم أخي الشيخ "محمد الطويل" وفقه الله لكل خير وإخوانه "الشيخ فوزي"، "والشيخ خالد" وفقهما الله لكل خير، وسير إخواني على ما تفضلوا به من هذه الدعوة، بارك الله في سعيهم، وفي جهدهم.

أقول -وبالله تعالى- التوفيق دائمًا وأبدًا نستلهم الهدى والسداد من كتاب الله، ومن سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلذا أُذكر نفسي وإياكم، ببعض الآيات من كتاب الله من سورة: (هود)، تلك السورة التي ورد عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأسانيد وإن كانت أسانيدها لا تخلو من مقالٍ، لكن بعض أهل العلم يحسنونها؛ لكونها في فضائل الأعمال فيها، «شيبتني هودٌ وأخواتها».

وفي هذه السورة المباركة في خاتمتها يقول تعالى: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]. ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾. أي: في هذه السورة المباركة ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. فهي سورة مباركة مُلئت خيرًا والحمد لله، كما هو شأن سور الكتاب العزيز.

مطلع الآيات قول الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى-: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ [فصلت: 45]. أي منا على موسى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالكتاب الذي هو التوراة، ومن المعلوم، وهذا له تأثيرٌ بيانه فيما بعد، أن الكلمة من كتاب الله تطلق ويراد بها معاني متعددة يُفهم معناها من السياق الذي وردت فيه، وسيأتي لهذا إن

شاء الله –تعالى- مزيد بيان، فكلمة ﴿الْكِتَابَ﴾. تأتي يراد بها: القرآن أحيانًا، وأحيانًا يراد بها: ذلك الإنجيل، وأحيانًا يراد بها: التوراة، وأحيانًا تأتي ويراد بها: عموم الكتب: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الحديد: 25].أي أنزلنا معهم الكتب، وأحيانًا تأتي كلمة الكتاب كتاب الله بمعنى: حكم الله ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: 24].أي: حكم الله فيكم، وكما قال الرسول: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله». وذكر الرجم، ولم يكن الرجم في القرآن، إنما هو في السنة، أو كان في القرآن ونسخ، فأي: بحكم الله، قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [هود: 110]. أي: مننا على موسى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما مننا عليه به بالتوراة، وكما قال –تعالى- عن التوراة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 44]. فكان ينبغي أن يُقبل الناس على هذا الهدى، وهذا النور، ولكن شاء الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى- أن يحدث على موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- اختلاف مع أنه كليم الله، ومع أن أنبياء الله -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-هم أزكى الخلق، وأفضل الخلق، وأعقل الخلق، وأحلم الخلق، وأسدهم نهجًا، وأحسنهم خطابًا، وأصبرهم على المدعوين، ومع ذلك لم يُقبل الناس كلهم على موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ولم يقبل الناس كلهم على التوراة التي: ﴿ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾. بل حصل اختلافٌ على موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فتلك سنةٌ جارية إذًا، سنةٌ جاريةٌ في الخلق، فالله -سُبْحَانه وَتَعَالَى- كما قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: 2]. فشاء الله أن يكون من الخلق من هو مؤمن، ينتفع بالذكرى، وينتفع بالموعظة، وشاء الله أن يكون من الخلق من هو الكافر، ومن هو فاسق، ومن هو مبتدع، هذه مشيئة الله، قدر الله ذلك.

بل إن الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى- خلق خلقًا للنار وهم في أصلاب أباءهم، وخلق خلقًا للجنة وهم في أصلاب أباءهم، وقد قال الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى-: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف: 179].أي خلقناهم لها، وقال -سُبْحَانه-: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7]. فشاء الله -سُبْحَانه- أن يكون من الخلقِ من يُقبل على الحق؛ لوضوحه وجلائه؛ ولأن الله كتب له الهداية، وشاء الله أن يكون من الخلق من هو معرضٌ عن الحق، ومن هو رافض له، هذه مشيئة الله فلا تتعجب إذن، فالناس كلهم كانوا أمةً واحدة على طريقة واحدةٍ، فيأتي الرسول من رسل الله فيحصل الاختلاف، لماذا يحصل الاختلاف عند مجيء الرسل؟.

فقد قال –تعالى- في كتابه الكريم: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (1) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً (2)﴾ [البينة1-: 2]. ما معناها؟ لم يكونوا تاركين ما هم عليه من الشرك، ومنفكين عنه إلا إذا جاءت رسلٌ من عند الله ﴿تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (1) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً (2)﴾. فإذا جاء الرسول بدأ الخلاف، ما سببه؟ فريقٌ يتبع الرسول، وفريق يصر على ما هو عليه من حب الكفر، ومن الجهل ومن الظلم.

وهكذا قال -تعالى-: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (4)﴾ [البينة: 4]. كيف فرقهم العلم؟ العلم الذي هو العلم بالله -سُبْحَانه-، وبأوامره ونواهيه حدوده وشرعه، اتبعه أقوامٌ، وأصر آخرون على البقاء في

الجهل، فمن ثم حصل الاختلاف، قال –تعالى-: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [هود: 110]. لولا أن الله قدر، أن يؤخر كثيرًا من الناس ويؤخر عذابهم إلى يوم القيامة، لقضي الأمر، لعُذب الكافر عذابا عاجلًا، ولأكرم المؤمن إكرامًا عاجلًا ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾. سبق من الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى- القول بأنه يمهل أقوامًا، ويؤجل عذاب أقوامٍ إلى الآخرة، أو يؤخر عذابهم إلى وقتٌ معلوم، ولولا هذه الكلمة التي قضاها الله وتكلم بها، لعُجل للناس جزاؤهم، المحسن يثاب، والطاغي يعاقب، فهذا قوله: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾. أي: أُكرم الطائع، وعوقب المنحرف الفاسق.

فالآية إذًا من آيات القدر، ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾. أفادت أن الأمور مكتوبة ومقدرة، فإذا قال قائل: هذا الرجل ظلمني قتل أبي، لماذا لم يعاقب وآراه يمشي؟ وآراه يمشي مطمئنًا وآراه يغتني يومًا بعد يوم، وأراه لم يقف على ظلمي بل ظلم غيري وغيري، وغيري، فلماذا هذا؟ قال –تعالى-: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾. أي: لقضي بينهم عاجلا غير أجلٍ، ولكن كما قال –تعالى-: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: 61]. قال –تعالى-: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: 110]. الذين أرسل إليهم موسى، فكذبوا، في شك من الكتاب المنزل على موسى محير، فريقٌ هداه الله، وقال: الحمد لله التوراة كتاب من عند الله، كلها خير وفيها هدى ونور، وفريق قال: لا أنا مرتاب من هذا، المرتاب من هذه التوراة؟ شاك في أنها من عند الله، قال –تعالى- ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾. أي محير، من الذي حيرهم؟ -عِيَاذًا بِاللَّهِ- شيطانهم حيرهم وشككهم في التوراة، قال –تعالى-: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [هود: 111]. وإن لم يأخذوا الجزاء الآن سيأتي وقتٌ يستوفي كل إنسان منهم جزاء عمله، وإن لم يكن الآن فسيأتي حتمًا الوقت الذي يوفى كل إنسان منهم فيه جزاءه، قال –تعالى-: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. ثم تأتي آية، معناها جاء في عدة آيات من كتاب الله وإن لم يكن بلفظها، وإن لم يكن المعنى بنفس اللفظ، قال –تعالى-: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: 112]. استقم كما أمرك الله، ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: 112]. نحن المسلمون الذين أسلمنا وصدقنا رسول الله، نستقم كما أمرنا، واستقم كما أمرت، ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا﴾ [هود: 112]. هذه محل وقفةٍ عظيمةٍ، أيها الإخوة.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. هذه محل وقفة عظيمة أيها الإخوة ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. استقم كما أمرك الله، والطغيان مجاوزة الحد، الغيان الازدياد ومنه: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11)﴾ [الحاقة: 11]. أي: هطل المطر وازداد الماء، ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24)﴾ [طه: 24]. أي ازداد ظلمه، فقوله –تعالى-: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا﴾. ﴿وَلا تَطْغَوْا﴾. ما معناها؟ لأننا سنقف معها وقفة، إيذان لي لأنها تطول بعض الشيء ﴿وَلا تَطْغَوْا﴾. قيل: لا تظلموا العباد وتزدادوا في ظلمهم، قيل: لا تطغوا في العبادة وفي الاستقامة،

هل هناك طغيانٌ في الاستقامة؟ هل يتصور أن الاستقامة فيها طغيان؟ نعم يتصور ذلك، وقد كان، وقد كان وثم آياتٌ تثبت هذا المعنى، وأحاديث تثبت هذا المعنى.

فقد يأتي شخصٌ يحطاط بزعمه أنه يحطاط عن الحرام ويبتعد عن الحرام، ويؤول به احتياطه إلى أن يحرم ما أحله الله له، يحرم على الناس ما يحلل الله لهم، وقد قال –تعالى-: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (116)﴾ [النحل: 116]. فكما أنني اتقي الخنزير المحرم، كذلك لا يحل لي أن أحرم ما أحله الله على العباد، فكما أن الذي يأكل من الخنزير المحرم مرتكب لكبيرة، الذي يُحرم على العباد ما أحله الله لهم أيضًا يرتكب كبيرة -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- وجاءت نصوص تؤيد هذا المعنى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (87)﴾ [المائدة: 87]. فالاعتداء يشمل: اعتداء على الشريعة، بالجناية عليها بتحريم ما أحل الله –سُبْحَانه وَتَعَالَى- تحريم ما أحل الله –سُبْحَانه وَتَعَالَى- ولقد عُتب النبي عتابًا خفيفًا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لما حرم على نفسه مارية، أو حرم على نفسه شرب العسل، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1)﴾ [التحريم: 1]. ولقد سأل بعض الصحابة بعضًا، وسألوا أزواج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أسئلةً عن عبادة رسول الله، كيف الرسول يتعبد؟ «ذهب رهطٌ من الصحابة إلى أزواج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يسألنهن عن عبادة الرسول، فأخبروا فتقالوا عبادة رسول الله». رأوها قليلًا قالوا: هذا الرسول يفعل هذه الأشياء؛ لأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فنحن نحتاج أكثر من ذلك، «فقال: أحدهم». ما لا يخفى عليكم، «أما أنا فلا أتزوج النساء أبدًا، قال الآخر: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، قال الثالث: أما أنا فلا أكل اللحم، قال الرابع: أما أنا فأقوم الليل ولا أنام». هذه الأمور كلٌ اختار عملًا بزعمه يقربه من الله، فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لما بلغه خبرهم قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أما إني أخشاكم لله، وأتقاكم لله، ولكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

ونهاهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن هذا الذي قالوه، فكان طغيانًا منهم أن يحرم أحدهم على نفسه اللحم، أو أن يظلم نفسه بأن يقوم الليل ولا ينام، «ولما دخل الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذات يومٍ على أزواجه ورأى حبلًا معلقًا في المسجد، سأل ما هذا الحبل؟ قالوا هذا الحبل لزينب تقوم من الليل تصلي إذا فطرت تعلقت به قال: حلوه ليصلي أحدكم نشاطه، فإذا فطر فليقعد». وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديث آخر: «إذا قام أحدكم من الليل يصلي، فاستعجم عليه القرآن فليضطجع، فإنه لا يدري، لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه». فليضطجع قد تقوم تقول يا رب اغفر لي، تلعن نفسك أو تسب نفسك وأنت ساجد من شدة مغالبة النوم لك، فهكذا جاءت عدة نصوص تأمرنا بالتوسط والاقتصاد في العبادة، ورُفع الحرج عن أمة محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قال –تعالى-: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]. قال رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن هذا الدين

يُسرٌ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه». وقال رب العزة -سُبْحَانه وَتَعَالَى- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16]. وقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: 171].

وقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حاسًا على الاقتصاد في إطرائه، قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم، إنما أنا عبدالله ورسوله». فغلا ناس في المسيح السلام وادعوا محبتهم محبة زائدة حتى جعلوه إله، وغلا ناس في الأحبار والرهبان، أحبار اليهود، ورهبان النصارى، حتى عبدوهم لما أحلوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم، فجاءت النصوص تنهى عن الغلو، وعن تجاوز الحد، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون». قالها -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثلاث مرات، وقال «لما أمر بعض الصحابة أن يلتقطوا له الحصى في الحج، بمثل هذه فارموا وإياكم والغلو، إياكم والغلو». فجاءت نصوصٌ كثيرة تضبطنا؛ حتى لا نغالي فنحرم على أنفسنا ما أحل الله لنا.

جاءت نصوصٌ كثيرة ترفع عنا الحرج، قال –تعالى-: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]. قال للصائم الذي يشق عليه الصوم ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 184]. قال للذي أُكره على التلفظ بكلمة الكفر: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: 106]. هذا الشخص يسب الرسول يقول ربنا -سُبْحَانه وَتَعَالَى- ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾. أي هذا لا يؤاخذ ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: 106].ذلك بأنه استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة.

جاءت نصوصٌ تأمرنا بالتيمم إذا كنا سنتضرر بالماء، أو لم نجد الماء تتوالى النصوص لرفع الحرج عن أمة محمد، وتتوالى النصوص لأمرنا بالاقتصاد في المسائل كلها، فديننا دين وسط ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]. أمة وسط بين اليهود الغلاة في التشديد، وبين النصارى الغلاة في التسيب، أمتنا أمة وسط، أمة وسط في شأن عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- اليهود يقولون عن عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقولون: أنه ولد زنا، وحاشاه، والنصارى يقولون: أنه إله، فجاءت أمة محمد تقول: وسط بين الأمم، تقول في شأن المسيح ما قاله الله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75)﴾ [المائدة: 75].

فجاءت أمة محمد وسط بين سائر الأمم، وجاء أهل السنة والجماعة وسط بين سائر الفئات، فالخوارج على سبيل المثال: يكفرون بالكبيرة والإصرار على الذنب، والمرجئة يقولون: لا يضر مع كلمة لا إله إلا الله ترك العمل، وجاءت أمة محمدٍ وسط تقر بقول الله –تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [يونس: 9]. فجاءت الخوارج وسيأتي بيان زللهم، واخذوا ببعض النصوص، وتركوا البعض، وجاءت المرجئة فأخذوا بنصوص أُخر وتركوا النصوص التي احتج بها الخوارج، وجاء أهل السنة يوفقون بين هذا وبين ذاك، ولنقف وقفةً عند ذكر الخوارج،

فالخوارج هؤلاء أول فئة ظهر أصلها الفئات الضالة الشاردة في تاريخ الإسلام، ظهر أصلها على عهد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هناك فئات أخر كالمرجئة، كالقدرية، الشيعة، كالمعتزلة فئات، لكن الفئة التي ظهرت على عهد الرسول منها الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هي فئة الخوارج، فكان الرسول يقسم قسمة بين الصحابة أتته أموال من اليمن قسم قسمة قسمها بين الصحابة، وكان -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لا يكاد يدخر مالًا؛ بل خرج ذات يومٍ مسرعًا بعد أن صلى العشاء، دون حتى أن يُذكر أنه ختم الصلاة بالأذكار المعهودة التي نعرفها بعد الصلاة، قام لما سلم دخل البيت فسألوه قال: تذكرت تبرًا عندنا ذهبًا لم يقسم فأتيت به كي أقسمه بين الناس، ومع ذلك لم يَسلم رسول الله من أذى المؤذين، قام رجلٌ والنبي يقسم القسمة فقال: أعدل يا محمد، أعدل يا محمد فإنك لا تعدل، فقال: الرسول ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل، فاتهم الرسول بالظلم والجور في القسمة، فقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: يخرج من ضِئْضِئِ هذا الرجل أقوام تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم، وصيامكم إلى صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». يعني أحيانًا تأتي بسهم حاد مدبب وتقذف به شخصًا، أو رصاصة قوية سريعة تدخل الصدر وتخرج من الظهر دون أن تبتل بالدم لسرعة خروجها، «يمرقون من الدين». أي: لا يتأثرون به «كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لا قتلنهم قتل عاد وإرم، آيتهم رجلٌ له ثديٌ بارز يطلق عليه ذو السدية». فقال أيضًا الرسول محذرًا منهم في حديث آخر: «سيكون في آخر الزمان أقوام حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية يعني يتحدثون بأحاديث رسول الله ويقولون بالقرآن». يعني حججهم القرآن «ويقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان». هذه خصلة من خصائلهم، -عِيَاذًا بِاللَّهِ- يركزون على من؟ على أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان، وأغلب من مشربهم جماعة التبديع المعاصرة، التي تركز على انتقاد العلماء والمشايخ، وتترك الليبراليين، والعلمانيين، واليهود، والنصارى لا تقربهم بسوءٍ، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد». أو كما قال الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فكانت هذه البداية هي التنبيه، تنبيه من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على تواجد، أو أن هذه الفئة ستتكاثر وتولد، فماذا كان؟ لما قدر الله ما قدر، وولي عثمان -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-الخلافة، وبدأت الطعون تتأتى في خلافة عثمان -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- وتزداد وتنتشر، إلى أن صار عليه الذين اسماؤهم الثوار، واتهموه بأنه يجامل بني أمية، وأنه يولي أمراء الظلم من بني أمية، وأن أُمراء بني أمية فعلًا منهم من ظلم، منهم من كان ظلم، لكن عثمان لحيائه -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-كان يعالج الأمور بطريقةٍ تختلف عن طرائق الآخرين، آل الأمر في النهاية إلى أن قتل عثمان، هؤلاء الثوار قتلوا عثمان، قتلوه وهو يتلو كتاب الله -سُبْحَانه- ولن تنفعهم الموعظة، وكان منهم عددٌ كبير من هؤلاء الذين وسموا بالخوارج، لم يتورعوا عن قتل عثمان، مع أن عثمان نظر إليهم من أعلى البيت، وقال: «أناشدكم

الله». وهم محاصرون وكثر، «أُناشدكم الله ولا أناشد إلا أصحاب محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا أطلب من أحد يجيب، إلا أصحاب محمدٍ، أناشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: من حفر بئر روما فله الجنة فحفرتها، قال: اللهم نعم، نشهد لك بذلك، قال: أناشدكم الله ألم تعلموا أن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزت من خالص مالي جهزت ثلاثمائة بعير بأعمالها، وأسلحتها، وعتادها قالوا: اللهم نعم، قال: إن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: قال لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة، والله ما قتلت نفسًا حتى أقتل بها، والله ما زنيت قط لا في جاهلية ولا إسلام، ولا مست ذكري بيميني منذُ أسلمت، والله ما فكرت أبدًا أن أرتد عن ديني، فبما يقتلونني؟ ولكن أبى القوم إلا ظلمًا وجبرًا، وانقضوا عليه فقتلوه».

وكما قال العلماء وهو يقرأ كتاب الله، -سُبْحَانه وَتَعَالَى- وانتشر هؤلاء في صفوف عليٍ بعد ذلك، وفي صفوف غيره، وبويع لعلي بالخلافة، وأبى معاوية أن يبايع إلا أن يقتص من القتلة عثمان فقال علي أدخل فيما دخل فيه الناس، وبعد ذلك نتمكن منهم ونقتلهم، فشاء الله وقدر أن يأبى، وشاء الله وقدر أن يحدث قتال بين علي ومعاوية -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُما-وماذا كان وقد أوشكت الحرب أن تنتهي لصالح عليٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- رفع أصحاب معاوية حينئذٍ على ما ينقله أصحاب السير المصاحف، طالبين التحكيم تحكيم كتاب الله، فقال عليٌ لا أكون من الذين دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم فأعرض، وذكر بالآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23)﴾ [آل عمران: 23]. فقبل علي أن يحكم كتاب الله -سُبْحَانه- فلما قبل عليٌ ذلك، تحقق حديث رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فقد قال: «من قبل في زمانه، تمرق مارقة على حين فرقة بين المسلمين، تقتلها أولى الطائفتين بالحق فمرقت الخوارج». وكفروا عليًا قالوا: أنت كافر، فضلًا عن كونهم من قبل كفروا عثمان، وكفروا معاوية، وكفروا جند علي، وكفروا جند معاوية، واعتصموا ببلدةٍ يقال لها: (حروراء)، قريبة من الكوفة، وبدأ فكرهم ينمو وينشط في تكفير عليٍ، وتكفير الصحابة الذين مع عليٍ، وتكفير معاوية، فعليٌ ماذا يصنع عليٌ؟ هؤلاء كانوا الآن معي يقاتلون ضد معاوية، الآن يكفروننا ويكفرون غيرنا، صبر علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ولكنه أرسل ابن عباس إلى هؤلاء، يسألهم ما الذي أخذتموه علينا؟ أخذتم علينا شيء بينوا لنا ما الذي أخذتموه علينا حتى نُصلح من أنفسنا؟

وذكر ابن عباس بأمور منها: أنك ناظرهم يا ابن عباس بالسنة مع القرآن، لا تتركهم بدون مناظرة بالسنة؛ لأن القرآن ذو وجوه، ناظرهم بالسنة مع القرآن، ونبهم بعض التنبيهات التي انتفع بها ابن عباس، فذهب ابن عباس وتجمل بأحسن الثياب، ويعرف إنهم سينتقدونه أيضًا، فكان عليهم رجل من كبرائهم اسمه: (عبدالله بن الكواء)، كان أميرًا عليهم، فلما أقبل بن عباس، قام بن الكواء، فقال: يا أهل حروراء، جاءكم بن عباس رجل مجادل، من قبيلة مجادلة وهي قريش، قال الله في

شأنهم: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: 58]. فاحذروه، قالوا: انقسموا فريقًا نحذره ونبتعد عنه، وفريق قال: نسمع لعله يأتينا بما يدفع عنا شُبه، إن قال حقًا قبلناه، وإن قال: باطلًا رددناه عليه، فقال لهم ابن عباس الفقيه الحبر: يا أهل حروراء ماذا تنقمون على بن عم رسول الله؟ لم يذكر اسم علي؛ لأنهم يكرهون أن يسمعوا اسم علي، فذكرهم بطريقة أخرى قائلًا ماذا تنقمون؟ على بن عم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وزوج ابنته فذكرهم بالرابط، ماذا تنقمون على بن عم رسول الله وزوج ابنته؟ قالوا: ننقم عليه أمورًا، قال ما الأمور؟ التي تنقمونها عليه، قالوا أولًا: حكم الرجال في كتاب الله، جعل الرجال يتحكمون في القرآن، وثانيًا: لم يسبي النساء يوم الجمل، وثالثًا: محى نفسه من أمير المؤمنين، إذًا هو أمير الكافرين، لما جاء يكتب هذا ما صلح عليه عليٌ أمير المؤمنين، علي اعترض معاوية وأصحابه، فقال لأبي موسى: أمحو كلمة أمير المؤمنين للصلح، إذًا هو أمير الكافرين، فقال بن عباس: ارأيتم لو أتيتكم بمخرجٍ من كل ما قلتم؟ أكنتم متبعي؟ قال: نعم نتبعك، قال: أما قولكم حكم رجالًا في كتاب الله، فإن الله قال في مرأة ورجل متزوجين في بضع امرأة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: 35].

وقال في شأن طيرٍ يُقتل في الحرم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: 95]. عصفورة تقتل بنتنازع إلى رجلين يحكمان، يقول أدفع خمسة ريال، أدفع عشرة ريال، ألا يُحكم رجال في دماء تحقن للمسلمين؟ قالوا: بلى قال أخرجت من هذه؟ قالوا: خرجت، قال: أما قولكم لم يسبي النساء يوم الجمل، فماذا تقولون في عائشة؟ هي أمكم أو ليست بأمكم؟ إن قلتم ليست بأمنا كفرتم، وإن قلتم هي أمكم فهل تستحلون أن تسبوا أمكم؟ فسكتوا، قال: أخرجت من هذه، قالوا خرجت يا بن عباس، قال: إن الرسول في صلح الحديبية لما كتب بسم الله الرحمن الرحيم، أو أمر أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صلح عليه محمد رسول الله، اعترض المشركون، وقالوا: لا تكتب الرحمن ولا تكتب الرحيم، ما ندري ما الرحمن وما الرحيم، اكتب باسمك اللهم، ولما جاء يكتب هذا ما صلح عليه محمد رسول الله، قال: أمحوا كلمة رسول الله ما نقر لك بها، فأمر النبي عليًا فمحى هذه وتلك، أكفر الرسول بذلك؟ فتعجبوا فقال أخرجت من هذه؟ قالوا: خرجت يا ابن عباس، ورجع منهم ما يقارب ثمانية آلاف إلى صفوف علي، بعد أن كانوا سيوفًا عليه، وبقي الآخرون رفضوا كل هذا الذي جاء به بن عباس، واجتمعوا في حروراء، فصبر عليٌ أيضًا، ولكن بدأ شرهم يستطير، بدأوا يقطعون الطرق وبناءً على المعتقد الذي اعتقدوه، من كفر عليٍ، ومن كفر معاوية، ومن كفر الصحابة، ومن كفر من لم ينتظم في جماعتهم بدأوا مع الناس الذي يوافقنا مثلنا، لا يوافقنا هو كافر مثل هؤلاء الكفار، فبدأوا يغيرون على الناس، يقطعون الطرق ويقتلون أهل الإسلام، يا ناس حاربوا أهل الشرك، رفضوا حرب أهل الشرك وقالوا أنتم أولى وأضر من أهل الشرك أنتم أولى بالقتال، فكما قال الرسول: «يدعون أهل الأوثان ويقتلون أهل

الإسلام». فأفسدوا في الأرض قتلوا، بدأوا يقطعون الطرق على الناس، بناءًا على تكفيرهم للناس؛ لأن العمل الفاسد ينبني على اعتقاد فاسد، فلما اعتقدوا أن عليً -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- كافرٌ قالوا إذن يقتل علي، فكروا في قتله، وفي قتل معاوية، -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وبدايةً بدأوا يقطعون على الناس الطرق، ويقتلون الناس ويسلبونهم الأموال، فرأى علي أن مثل هذا الأمر لا يُسكت عليه أبدًا، فجهز جيشًا وذهب إلى حروراء، وكان هؤلاء من الشجاعة بمكان عظيم، ولكن عليٌ أشجع منهم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عليٌ موصوفٌ طيلة حياته بالشجاعة، فأنزل بهم بأسًا عظيمًا، ومقتلةً عظيمةً في حروراء وأبادهم إلا الذي فر منهم، فكان عليٌ يأمر، ومن كرمه ويبين أحكامًا فقهية، أنه لا يتبع مدبرهم، ولا يجهز على جريحهم.

يعني إذا واحد جُرح وسقط في الأرض لا آتي بالسيف وأذبحه، إذا واحد منهم فر لا يُتبع مدبرهم، ولا يجهز على جريحهم، كاد علي أن يقضي على هذه الفتنة، ولكن بقاياهم -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- بدأوا يخططون لقتل علي أيضًا، وتم لهم ذلك، تم لهم ذلك وهو خارجٌ من صلاة الفجر، إذا بعبدالرحمن بن ملجم أعد خنجرًا أو سيفًا وانقض على علي الآمن الذي خرج أمنًا من صلاة الفجر، ولا يتوقع أن شخصًا يغير على أمير المؤمنين وهو خارج من صلاة الفجر، فقتل عليا -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- وأصحابه يفتخرون به يفتخرون بأنه قتل عليًا، بل ويقولون: مثنين على ابن ملجم يقول عمران بن حطان، مثنيًا على ابن ملجم:

يـا ضـربةً مـن تقـي نـال بهـا عنـد ذي العـرش مغفـرة ورضـوانًا

إنـي لأحسـبه حـين أنظـره أوفـى البريـة عنـد الله ميزانًـا

يعني يصف الذي قتل علي بأنه أفضل الخلق على الإطلاق، من الذي قتل زوج بنت رسول الله، الذي قتل عليً الذي برز يوم بدر، وشهد مع الرسول الغزوات الذي يقتله، تعتقد الخوارج أنه أوفى البرية عند الله ميزانًا، فرد عليه شاعر أهل السنة المجيد رحمة الله عليه بقوله:

بل ضربة من غوي نال بها سخطًا وسـيلقى الـرب غضـبانًا

في أبيات شعرٍ ذكرت في كتاب "أضواء البيان" للشنقيطي -رَحِمَهُ اللهُ- بدأت هذه الفئة تنشط وتُكفر الناس واحدًا بعد آخر، وتأصل أفكارًا شاذةً بناءً على أفهامٍ مغلوطةٍ، بناء على تركهم للسنن التي رواها الصحابة، فالصحابة الذين رووا سننًا عن رسول الله هم يكفرون الصحابة، فكيف يقبلون حديثًا رواه علي فتركوا كثيرًا من السنن؟ تأتي تحاججهم بحديث رواه علي، يقولوا علي كافر، كيف نقبل حديثه، تحاججهم بحديث رواه عمار بن ياسر، قالوا أكفر من علي، تحاججهم بأي حديث؟ يقولون هذا الراوي كافر، فكفروا عددًا كبيرًا من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهدموا السنن، فلما كان ذلك، بدأوا يأخذون استدلالاتهم من الكتاب العزيز، أغلب الاستدلالات من الكتاب العزيز، ولا يأخذون إلا من صحابة معينين، فلما أخذوا الاستدلالات من الكتاب العزيز، ولجهلهم حصل الخطأ، اشتد، واشتد، واشتد ولبسوا به على الناس، فقالوا فيما قالوه لما أخذوا بالكتاب العزيز: إن السيئة بمعنى

الكفر، وبنوا على ذلك، والذي يفعل سيئًا معناه أنه كفر، نعم السيئة قد تأتي بمعنى: الكفر، ولكن إذا نظرت إلى كتاب الله ترى أن كلمة السيئة تأتي بمعنى الكفر أحيانًا، وبمعنى: الكبيرة أحيانًا، وبمعنى الصغيرة أحيانًا، ويفهم معناها من السياق الذي وردت فيه، فقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (27)﴾ [يونس: 27].لا خلود إلا مع الكفر، فالسيئة هنا بمعنى: الكفر، ولكن قوله تعالى في شأن قوم لوط: ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: 78]. يعملون الفاحشة الكبيرة، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: 31]. يعني إذا اجتنبتم الكبائر كفرنا عنكم الصغائر، فعمموا في الإطلاق في السيئة، وجعلوها كلها بمعنى الكفر، وكفروا مرتكب الذنب أو مرتكب الكبيرة، فهذا من الأفهام المغلوطة.

أيضًا أتوا إلى اصطلاح من الاصطلاح الخطيئة، اصطلاح مثل اصطلاح الخطيئة، وقالوا إن (الخطيئة) بمعنى: الكفر دومًا، قد يشهد لهم معنى، لكن لا بد من المعاني الأخر، فمن ذلك مثلًا: قالوا إن الله قال في شأن قوم نوح وهم كفار، ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ [نوح: 25]. قالوا إذن كانوا كفارًا والخطيئة تطلق على الكفر، فنقول لهم أيضًا نعم قد تأتي الخطيئة بمعنى الكفر، ولكن إبراهيم قال: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82)﴾ [الشعراء: 82]. هل كان الخليل كافرًا؟ والرسول كان في سجوده يقول: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، اللهم اغفر لي خطئي وعمدي وكل ذلك عندي». هل كان الرسول كافرًا؟ فالخطيئة لها عدة معان، وآدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ذكر خطيئته التي أصاب لم تكن شركًا، إنما هي أكله من الشجرة، الكلمات تأتي متعددة المعاني، ولكن يفهم المعنى من السياق الذي وردت فيه الكلمة.

فعلى سبيل المثال أيضًا كلمة (الذنب)، كلمة الذنب، قد تأتي بمعنى الذنب المعصية، أو الجريمة التي ارتكبتها في حق شخص، وقد تأتي كلمة ذنب بمعنى الكفر ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [غافر: 21].عامة، وقال موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14)﴾ [الشعراء: 14]. فكلمة الذنب تتعدد معانيها، هم ما قبلوا هذا التعدد للمعاني، وقالوا كلٌ كفر، هكذا عمموا المعاني وجعلها كلها بمعنى الكفر، لم ينظروا إلى اصطلاحات أهل السنة والجماعة التي وضعت مثل كفر دون كفر، أهل السنة يقولون هناك كفر دون كفر، فالرسول لما قال في شأن النساء: «أطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء، قيل: بما يا رسول الله؟ قال: يكفرن، قيل: يكفرن بالله يا رسول الله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شرًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط». فهذا كفر لكن ليس كمن كفر بالله وأنكر ربه ونفى الرب -سُبْحَانه وَتَعَالَى-.

فأهل السنة يقولون هناك كفرٌ دون كفر هم اطلاق الكفر، فجاءوا إلى حديث الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- «سِباب المسلم فسوق وقتاله كفر». قالوا إذًا الذي يقتل مسلمًا يكون كافرًا، عندنا قوله –تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا

دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: 48]. عندنا قوله –تعالى-: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: 9]. فسماهم الله مؤمنين، عندنا قول الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار». فسماهما مسلمين، لكن أبوا كل ذلك، وعمموا كلمة الكفر على إطلاقها، وقالوا الذي يقتل الآخر كافر، كفرٌ به من أدعى إلى غير أبيه وهو يعلم، فالذي نسب نفسه إلى أب غير أبيه، قالوا كافر خارج من دين الإسلام، وهكذا عمموا كلمة الكفر، وأخرجوا من الدين كل من وسم بها، ولو تم لهم مرادهم لأخرجوا النساء كلهن من الإسلام؛ لأن النبي قال: «يكفرن العشير».

عندنا في الشريعة أيضًا عندنا في قواعد أهل السنة، ظلمٌ دون ظلم، هناك الظلم بمعنى: الكفر، والكافرون هم الظالمون، وهناك ظلمٌ بين العباد، عبد يظلم عبدًا، لا يكون كافرًا حينئذٍ، هناك نفاقٌ أكبر، نفاق عملي ونفاق اعتقادي، «علامات المنافق ثلاث، إذا حدث كذب». ولكن عندنا ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145].فجعلوا كل ذلك سواء، عندنا فسق دون فسق، سباب المسلم فسوق، قالوا إن الله قال في شأن قوم فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54)﴾ [الزخرف: 54].أي كفار، فجهلوا كثيرًا من الاصطلاحات، وفهموها على غير معانيها، ولم يوقروا عالمًا، إنما إذا ذكرت لهم عالمٍ صحابيًا قالوا: هم رجال ونحن رجال.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

فهذه بعض الأسباب التي من أجلها، تقلد ناس هذا الفكر الذي هو التكفيري الخارجي، قلة العلم، رد كثير من سنن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كذلك أفهامٌ خاطئة لبعض الآيات، كذلك اقتصارهم على أخذ بعض الأحاديث دون بعض، فعلى سبيل المثال عندنا حديث الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لا يدخل الجنة قاطع». يعني قاطع رحم، وحديث الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة». أنا كمسلم علي أن أخذ بالحديثين؛ لأن كل من الحديثين قاله الرسول، لكن جاءت فئة الخوارج أخذت بلا يدخل الجنة قاطع، وفئة المرجئة أخذت بمن قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، وكل هجر الأخر، هجر الحديث الآخر، لكن أهل السنة جمعوا، قالوا لا بد أن نجمع بين الدليلين ونعمل بهما معًا، فإن قول الرسول: «لا يدخل الجنة قاطع». لا بد أن يقيد بقيد، إذا لم يغفر الله له، لكن إذا القاطع غفر الله له، والله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: 48]. خرج إذن من استثني من الحديث من غفر الله له، ثانيًا: كلمة "لا يدخل" قد لا يدخل جنة معينة، أعدت لمن وصلوا الأرحام، فالجنة درجات، كلمة لا يدخل قد تعني لا يدخل دخولًا أوليًا حتى يعذب، وبعد ذلك يدخل، فهكذا جمعوا بين الأدلة، ولكلٍ طبعًا كل جزئية من الجزئيات التي ذكرت لها أدلتها، فيقول دخول الجنة على مراحل، ليس كل الناس يدخلون الجنة في وقتٍ واحد، بل قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10)﴾ [الواقعة:

10]. قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أضواء كوكب دري في السماء إضاءة». قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يدخل الفقراء والمهاجرين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفًا». أو كما قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

فأهل السنة يجمعون بين الأدلة من هنا والأدلة من هنا، لكن جنح الخوارج إلى جانب التشدد دائمًا، فيأخذون أحاديث ويتركون أحاديث أُخر، يأخذون الجانب الذي فيه شدة ويتركون الجانب الذي فيه تبشير، والرسل أرسلت مبشرين، ومنذرين عليهم صلوات الله وسلامه.

أقول -بارك الله فيكم-: ثم أمور ساعدت هذا الفكر الخارجي على الانتشار، منها أولًا: قلة العلم، قلة العلم،

كثير من الشباب، الذين قل علمهم، وقلت بضاعتهم في العلوم الشرعية عمومًا، يعلقون الشعارات ويتلفظون بها، أنت حر ما لم تضر، هذا عين الضلال، أنا عبد لست بحر، هل من حقي أنني أهذي وأتكلم كيف أشاء؟ أم أن لساني معبد لله -سُبْحَانه وَتَعَالَى-؟.

ليس من حقي أن أتكلم بكل ما أريد، لا بد أن أعرض ما أريد الكلام به، والتحدث به على كتاب الله وسنة رسول لله، إن كان خيرًا تكلمت به وإن كان باطلًا أمسكت عنه، أنا حر ما لم أضر كيف؟ هل أن شخصًا يحب أن يزني والمزنية بها تحب ذلك، هل هي حرة وهو حر؟ أم أننا عبيد لله –سُبْحَانه وَتَعَالَى-؟ نمتثل أمر الله، بل نغض أبصارنا لا نقترب من الزنا، فأمام شعارات باطلة تظهر

، والفكر العلماني تلك الأفكار التي تقول بفصل الدين عن الدولة، وتؤمن ببعض الكتاب، وتكفر ببعض، أو تكفر بالكتاب كله، أو يقصرون الإيمان على العبادات وفقط، ويتركون سائر الكتاب المنزل الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى-.

فالآية محكمةٌ ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾. كن على خطك المستقيم، لا تميل يمينًا ولا تميل، شمالًا ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا﴾. لا تتجاوزوا، الحد، ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. ولا تركنوا إلى الذين ظلموا، قيل الركون الميل اليسير، وقيل الركون الميل والسكون، لكل قال بعض أهل العلم لا تركن إلى الظالم تظن أنه سينجيك، أبدًا؛ بل سيخذلك وأنت في أشد أوقات الاحتياج إليه، وسيخذلك إن لم يكن في الدنيا سيخذلك في الآخرة ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا (29)﴾ [الفرقان28- 29].

فلا تصادق إلا الصالحين، لا تركن إلا إلى أهل الإيمان المستمسكين بالكتاب العزيز، وبالسنة المباركة، ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: 113]. ولا تظن أنهم أولياء لك، بل الله قال: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا

تُنصَرُونَ﴾ [هود: 113]. وتأتي آية بها تهذب النفوس، وتستدرك الزلات والخطايا، ألا وهي قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفِيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114)﴾ [هود: 114]. تلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه الآية ونزلت عليه، «جاء رجل يقول: يا رسول الله، إني لقيت امرأةً فعلت معها كل شيء إلا الجماع، هل لي من توبة؟ أعرض عنه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فانصرف، فنزلت الآية فدعاها، وتلا عليه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفِيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾.». أي: قطعًا من الليل ساعات من الليل، «﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾.». وهي عامة لكل المسلمين، كما هو معلوم في متون الأحاديث، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. أصل أصيلٌ في تقدير الكفارات.

فأحيانًا يذنب الشخص ذنبًا، فله كفارة معلومة، مثلًا شخص قال: أقسم بالله ما أنا مسافر وسافر، عليه كفارة معلومة، شخصٌ جامع الزوجة في رمضان في النهار له كفارة معلومة، فهناك جرائم لها كفارات معلومة، وذنوب لها كفارات معلومة، ولكن هناك ذنوبٌ لم ينص على قدر كفارتها، مثلًا شخصٌ نظر إلى امرأة ودقق النظر أذنب، امرأة لا تحل له أذنب، ما كفارة ذلك؟ قد يفتيه شخص يقول يا أخي استغفر، قد يقول الآخر يا أخي صلي ركعتين، قد يقول شخص أنا تجسست على امرأة وهي تغتسل نظرت من ثقب الباب وتجسست عليها، الذنب أعظم بعض الشيء، فهذا الذنب الأعظم قد يكون المفتي، يا أخي أنت استغفر الله يا أخي واعمل عمل صالح، تصدق بخمسين جنيه يا أخي لعل الله أن يمحو عنك الذنب، فالشاهد: أن قوله –تعالى-: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. حاصل المستفاد منه، أنك إذا عملت سيئةً قدر حجمها تقريبًا إذا لم يكن فيها نص، واعمل عملًا صالحًا يوازيها، وهذا منهج لابن عباس، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْا-.

فمثلًا من أتى امرأة وهي حائض، ما الكفارة؟ عن رسول الله ليس هناك نص ثابت، ورد أثر عن ابن عباس أنه يتصدق بدينار بنصف دينار، بثلث دينار على فرض تصحيح كل الروايات، فتتنزل على من جامعها في قوة الدورة، أو جماعها في أخر الدورة، أو جماعها في أول الدورة، فابن عباس كان يقيم الذنب ويأتي بفتوى فيها كفارة توازي هذا الذنب توضع في ميزان الحسنات، من تجاوز الميقات مثلًا ولم يحرم، من ترك المبيت في مزدلفة، من ترك رمي الجمار، ماذا عليهِ؟ من ترك ذلك يأثم، لكن ما الكفارة؟ الرسول لم يرد عنه شيء في تعيين الكفارة، فكان ابن عباس يرى أن هذا الذي صنع ذلك يترك واجبًا يذبح ذبيحةً، فقال: «من ترك واجبًا فلينسك نسيكة». فكان من منهج ابن عباس أنه ينظر إلى قدر الذنب ويفتي بكفارةٍ تكاد أن توازيه من أجل أن توضع في ميزان الحسنات، حتى تذهب أثر السيئات؛ لأن هناك أمور كثيرة ليس عليها كفارات منصوص عليها، ليس لها كفارات منصوص عليها، ولا تكفي لها كلمة: استغفر الله.

وقد ورد أثرٌ وليحرر، أن رجلًا جاء لابن عباس، قال: يا ابن عباس أنا أذنبت ذنبًا كبيرًا قال ما هو؟ قال أذنبت ذنبًا أرقني أتعبني، قال ما الذنب؟ قال كانت

لي بنت حسناء، ولدت امرأتي بنتًا، وهذه البنت كانت حسناء، ولكن لما ولدتها أخذني ما يأخذ أهل الجاهلية من العار والشعور بالعار، كيف تلد امرأتي بنتًا ففكرت في قتلها فمنعتها أمها، فالبنت بدأت تشب شبابًا حسنًا، وكلما مرت الأيام ازدادت حسننًا ويأخذني العار، فقلت لأمها ذات يوم جمليها لبسيها ملابس جميلة، فألبستها ملابس جميلة، ولكنها شعرت في عيني بالشر، قالت أُذكرك بالله ألا تفعل بها شيئًا، فوعدتها خيرًا، وأخذت البنت والأم تنظر إلى ابنتها وهي تفارقها، وجئت بها إلى حافة بئرٍ، أقذفها فيها، فالبنت تعجبت، قالت ماذا تريد أن تصنع بي يا أبي فأخذتني الشفقة فتركتها، ثم عاودني الشعور بالعار، ففعلت بها ذلك، تمسكت بي أيضًا، يا أبي ماذا تريد أن تفعل؟ ثالثةً تحاملت على نفسي ودفنتها في البئر، فهل لي من توبة يا ابن عباس؟ فابن عباس استبشع الأمر، وقال: انصرف، فلما ولى الرجل ابن عباس يريد مخرج لهذا الرجل، استدعاه فقال له ألك أم؟ قال وما تريد بقولك ألك أم؟ قال: لا أرى شيئًا يعدل، أو يكاد أن يكون سببًا في الكفارة إلا برك بأمك والإحسان إلى أمك، فكان من منهج ابن عباس، أن يبحث عن عمل صالحٍ يوازي أو يكاد العمل السيء حتى يوضع هذا في ميزان الحسنات أمام ميزان السيئات، ولذلك أحيانًا يأتينا شخص من أشخاص يذكر أنه ارتكب جرمًا، تبحث ما في نص على الكفارة، تجتهد تقول له يا أخي اللهم وسع عليك، قل نعم، ممكن تصدق بألف جنيه، أنا ما عندي نص، لكن عندي نصوص أخر ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. عندي نصوص أُخر، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: 47]. أنت وضعت شيئًا في كافة السيئات، ضع شيئًا في كافة الحسنات حتى يذهبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: 114]. ﴿وَاصْبِرْ﴾ [هود: 115]. على ما تبتلى به وعلى ما تعاني، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: 115].

ثم حثٌ على النهي عن المنكر الذي به قوام الأمم، فالأمم لا تقوم أبدًا بترك النهي عن المنكر وبترك الأمر بالمعروف، بل قيامها بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، والله يحفظنا بسبب ذلك، ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ﴾ [هود: 116]. أي أهل عقلٌ، وفضل، وفهم، وصلاح، ينهون الفساد في الأرض ما كان ذلك في الأمم إلا القليل، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 116]. فهذا استحثاث لنا على أن نكون آمرين بالمعروف، نهاة عن المنكر، ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125]. وبالعلم بضوابط ذلك من كتاب الله، ومن سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قال –تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (117)﴾ [هود: 117]. قال فريق من أهل العلم: وما كان ربك ليهلك القرى بالشرك فقط، يعني إذا كانت هناك قرية مشركة، ولكنها عادلة فيما بينها متراحمة في فيما بينها، فإن الله يؤخر عذابها على الشرك إلى يوم القيامة، ولا يعاجلها بالعذاب الشديد في الدنيا، لكن إذا انضم إلى الشرك، جرمٌ آخر جاء العذاب العاجل في الدنيا، بمعنى فرعون مثلًا يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى (24)﴾ [النازعات: 24]. ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38]. كفرٌ

وشرك وكل شيء، لكن انضم إلى عمله تسبيح الأبناء، استحياء النساء، تعبيد الرجال لهم، قوم لوط أهل شرك، لكن انضم إلى شركهم فعل الفاحشة التي ما سبقوا إليها من أحد من العالمين، قوم شعيب أهل شركٍ، لكن انضم إلى شركهم تطفيف الكيل وتطفيف الميزان، فهكذا -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- تحل البلايا.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾. أي بشرك فقط ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾. ولذا ينقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن الأمم الكافرة قد يعجل عذابها في الدنيا للتراحم الذي يدور بينها، وللعدل الذي يجري بين أهلها، عذابه على الشرك يؤجل إلى يوم القيامة، والأمم المسلمة إن كانت ظالمة فيما بينها قد يعجل لها في الدنيا، وفي الحديث عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ما من ذنبٍ أجدر أن تعجل العقوبة لفاعله في الدنيا، فضلًا عما يدخر له يوم القيامة، من البغي، وقطيعة الرحم». قال هذا وجه هو الأشهر عند المفسرين، وإن كان ثم وجه آخر في تفسير قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (117) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118)﴾ [هود: 118]. لو شاء ربك لآمن الناس كلهم، وكانوا على الإسلام ولكن، ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: 118-119]. فمن رحمهم الله يسعون للائتلاف، من رحمهم الله يسعون للاجتماع، لا يسعون للفرقة، من رحمهم الله المرحومون يسعون للتجميع لا يسعون للتفريق، المرحومون الذين رحمهم الله لا يسعون في الفرقة بين المسلمين، إنما يسعون للاجتماع والائتلاف على الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾. فيحرصون على الاجتماع والائتلاف، ولذلك خلقهم وللاختلاف خلقهم، كذا قال بعض العلماء أو قال –تعالى-: شاء أن يكون أكثر من أمة.

قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. سبق من الله القول بذلك، وتحقق ولا راد له، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120]. فأقرأوا قصص الأنبيَاء لتثبيت الفؤاد ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾. أي: السورة ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120) وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (121)﴾ [هود: 120-121]. اعملوا على طريقتكم فإن عاملون على طريقتنا، وانتظروا حكم الله فيكم، إنا منتظرون حكم الله فينا ﴿وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (122) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)﴾ [هود122- 123].

نفعنا الله وإياكم بكتابه الكريم، وبسنة نبيه الأمين.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وسلم.

****